مساحة خضراء

قُنص يرحمه الله .. صاحب نظرية بناء الأهرامات..

فؤاد عبدالقادر

■ الشاب الظريف المثقف عبدالسلام الشعيبي ذهب ضحية رصاصة من قناص حاقد ومرتزق بينما كان يسير في واحد من شوارع أمانة العاصمة وفي أمان الله وفي حمى وطنه، لكن القناص الغبي أبى إلا أن يجعله يدفع ثمن حقد الآخرين.

هل تعرفون من يكون هذا الشعيبي إنه ذلك الشاب الذي أحدث ضجة في المشهد الثقافي الوطني وأثار ضجة في الصحافة العربية المصرية في الثمانينيات من القرن المنصرم.

إنه صاحب نظرية أو فكرة الاكتشاف المثير للجدل حول بناء الأهرامات الفرعوية نظرية أثارت جدلاً علمياً على مستوى علماء الآثار في مصر بين رافض لنقل الفكرة أو النظرية وبين من حاول مناقشتها علمياً، وصلت الأمور إلى رئيس الجمهورية الذي اعتبر صاحبنا عبدالسلام الشعيبي مجرد مجنون هكذا وببساطة أقنع الأشقاء في مصر.

بينما كان من المفروض أن يناقش الشاب ومقارعة الحجة بالحجة، لكن ذلك لم يحدث أليس مجنوناً حسب فتوى رئيس الجمهورية؟!!

في الفترة الأخيرة بالذات حياة الشعيبي تدهورت نفسياً ومعيشياً وبدا وكأنه يعيش في عالم آخر أليس ظلم الأقربين أشد على النفس، وقد ظلم الشاب!!

عرفته قبل سنوات وقبل قنصه بشهور كنا نلتقي يومياً في مقهى الصلوي الأعجم في قلب شارع هائل.

وفي أحد الصباحات حدثني أحدهم بأن صديقنا الشعيبي قد قنص فلم أقل سوى كلمة واحدة .. رحمه الله .. عاش مغبوناً ومات شهيداً.

الإنسان والعيش المشترك

■ سادت في العقود الأخيرة نظرية مفادها أن الإنسان هو مجرد كائن اقتصادي. وقد وجدت تلك النظرية القبول لدى طيف واسع من المفكرين والباحثين ورجال السياسة.

الأب-المؤسس لتلك النظرية هو العالم الاقتصادي الشهير آدم سميت وهي مقبولة اليوم من اليمين اللبرالي وحتى اليسار الماركسي الجديد الذي كان عالم الاجتماع الفرنسي الشهير بيير بورديو هو أحد رموزه. وفي مقابل هذه النظرية ارتفعت بعض الأصوات ومن بينها أستاذ الاقتصاد وعلم الاجتماع آلان كايي، الذي يقدّم كتاباً تحت عنوان «من أجل بيان حول العيش المشترك» – «الناشر: بور دو لو باريس 2011م» – وهو يشرح فيه كيف أن الإنسان «يميل بطبعه إلى العطاء والتواصل مع الآخرين»، وليس كائناً اقتصادياً بالدرجة الأولى.

ولكن ما هو المخرج الممكن؟ يسأل المؤلف ذلك ومن ثم يؤكد مباشرة أن الايديولوجيات السياسية الموروثة ليست، كما يبدو، على مستوى التحديات التي تطرحها المرحلة الراهنة. وفي هذا السياق من المناسب الالتفات نحو مصادر التفكير الأكثر تجديداً والتي عرفتها السنوات الأخيرة المنصرمة. وليس أقل هذه المصادر الفكرية أهمية تلك التي تقول بتخفيض إيقاع النمو الاقتصادي، والبحث عن مؤشرات جديدة للثروة، وتبنّي مفهوم عطاء الآخر والدفاع عن أنماط الحياة التقشفية.

وهذه الأمور كلها يجمعها آلان كايي، في إطار «طريقة جديدة– للعيش المشترك». وهذه الطريقة تتماشى، كما يقول، مع معطيات الواقع الذي تعرفه منذ سنوات السبعينات في القرن الماضي. والمعطى الأول هو أن هذه البلدان تعرف تباطؤاً في إيقاع النمو الاقتصادي، خلال الفترة المعنية. والمعطى الثاني أن أشكال عدم المساواة تميل نحو التزايد، بل «الانفجار»، كما يحدد المؤلف القول. وعلى أساس هذه الخلفية في تحديد معطيات الواقع القائم في البلدان الغربية، يبتعد المؤلف عن أطروحة النموذج الذي عرفه الغرب خلال العقود الأخيرة.

والذي لا يزال القسم الأكبر من البلدان النامية «يستلهم» منه، إنما يعيش اليوم «المرحلة الأخيرة من حياته»، وهو محكوم بالزوال المؤكد. وذلك على أساس أنه قائم على «تطلّع لا يمكن إشباعه»، بهدف زيادة الإنتاج المادي أكثر فأكثر، ولكنه نموذج لم يعد من السهل الدفاع عنه.

ولا يتردد المؤلف في القول إن مثل هذا التجديد في الفكر يتطلب بالضرورة ثورة أخلاقية حقيقية ترمي إلى المساهمة بنشر مبادئ أخلاقية ذات تطلّع كوني يونيفرسال. ذلك على خلفية القول إن المشاكل المطروحة على المجتمعات الغربية هي ذات أبعاد عالمية تتجاوز حدودها الخاصة. ولكن «ثورة» تحترم بالوقت نفسه مختلف الهويات ولا ترمي إلى نوع من فرض نمطية ثقافية واحدة على الجميع.

جوهر الثورة الأخلاقية التي يطالب بها المؤلف يتمثل في التأكيد على قيم محبة الآخر، أي تلك التي تدعو إلى روح التعاون وتقوم عليها. ذلك بهدف تشجيع البشر على متابعة العمل من أجل تدعيم سبل وأدوات العيش المشترك.

مثل هذه الأخلاق الجديدة تشكل، حسب المؤلف، العنصر الأساسي لتحقيق الحياة الجيدة. وتخلّي البشر عن البحث عن مكاسب مادية أكثر فأكثر، ومما يسمح لها بالمقابل بإعطاء معنى لحياتهم. والخطوة الأساسية في السبيل الجديد يتم تحديدها بضرورة معارضة الاجتياح العام، الذي يقوم به المنطق التجاري السائد في ظل اللبرالية المعولمة، وسيادة اقتصاد السوق. والإشارة إلى أن مثل هذا المسار عرف بداياته منذ سنوات الستينات في القرن الماضي، عندما أراد علم الاقتصاد أن يقترب من العلم الاجتماعي العام. كذلك أخذت الفلسفة السياسية منحى أكثر فأكثر اقتصادية. ونتيجة ذلك سادت الأسواق خلال سنوات التسعينات، والعقد الأول من القرن الحالي(الـ21)، وعالم المال على جميع النشاطات الإنسانية.

ويشرح المؤلف أن تاريخ الفلسفة والأدب وتجارب الحياة الإنسانية المعاشة، كلها تقول، شيئاً واحداً، وهو أن الإنسان لا يعمل حسب منطق الفائدة الفردية. ويجري التأكيد أن هناك عالماً آخر يحاول أن ينبثق، وأن تجارب عديدة وتيارات فكرية متنوعة تحت تسميات متعددة تشدد كلها على أن تحديات العالم القائم، وتتطلب بروز اقتصاد جديد، اقتصاد اجتماعي يقوم على التضامن والتجارة العادلة وسياسة المشاركة والتعاون بين الشعوب. فمواجهة العالم القائم تتطلب مواجهة تحدياته.

حساسية الروائي وذائقة المتلقي

■ شيء هام أن يتحدث روائي متمكن من أدواته الروائية، ويقف على مؤلفات روائية شهيرة ترجمت إلى العديد من لغات العالم، وحاصد لعشرات الجوائز الروائية والقصصية والأدبية عن ملتقيات ومؤسسات ووزارات وحكومات وجامعات، ومحاضر في العديد من المؤتمرات والجامعات والندوات الثقافية العربية، يتحدث بشيء من السيرة عن حميمية علاقته مع الرواية، وهي فرصة أن يطلعنا على أفضل ما قرأ وتوقف من أعمال روائية في العالم.

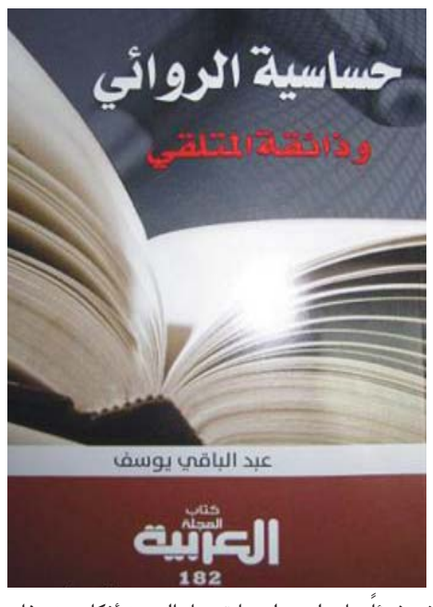

استقبلت المكتبات العربية العدد الجديد «521» يناير 2012 لمجلة المجلة العربية، التي تصدر عن وزارة الثقافة السعودية، ومع العدد كتاب «حساسية الروائي وذائقة المتلقي» للروائي عبد الباقي يوسف الذي يعد من أشهر الروائيين العرب وأكثرهم حضوراً في وسائل الإعلام وتعد أعماله من أكثر الأعمال مبيعا وانتشارا في معارض الكتب، كما أن العديد من المؤسسات الثقافية والمؤلفات النقدية عدت بعض أعماله من أكثر الأعمال العربية الروائية السبعة إثارة للجدل.. هذا العمل وقع في 250 صفحة من حجم كبير.. ويقع في ثلاثة فصول هي:

1- حساسية الروائي
2- من أعمدة الرواية في العالم
3- أسرار الرواية النسوية

كل فصل من هذه الفصول يحتوي على محاور متماسكة متناسقة ومتناغمة وكأننا نقف أمام رواية من حيث تناسق الفكرة العامة للكتاب، وعبد الباقي يوسف معروف عنه حرصه الشديد على دقة مؤلفاته بحيث يأخذ الكتاب سياقاً متدرجاً يشعر القارئ معه بالمتعة والفائدة.

في الفصل الأول يتحدث عن علاقته الشخصية بالرواية، ويسرد بعض الأحاديث والمواقف الشخصية عن صلب علاقته مع كتابة الرواية وهي تقدم ما يشبه المشكاة لقارئ أعماله بشكل خاص، ولقارئ الرواية بشكل عام.

من هذه المحاور التي تناولها بالدرس:
عالم الرواية
هيمنة فكرة الرواية
المؤلف والمؤلَف
الأسطورة والرواية
أصداء الشخوص الروائية
تقنيات استخدام الضمائر في الرواية الفرنسية الجديدة
بين شخصية الروائي وأجواء الرواية

الفصل الثامن: جوهرة الرواية ومشكاة النقد

يقول: نحن لا نحتاج أن نقرأ رواية لمجرد أننا نرغب في قراءة رواية، إننا نحتاج إلى رؤيةعالم لم نره، ولم نقرأ عنه من قبل لدى شروعنا في قراءة رواية جديدة ، ذلك لأن الرواية معنية بفتح عالم جديد أمام قارئها.

الرواية التي لا تحمل بين غلافيها شمسا وقمرا ونجوما وبحارا وصيفا وربيعا وخريفا وشتاء كثير عليها أن تحمل اسم رواية.

الرواية تحمل عبق الإنسان، تحمل رائحته الزكية، إنها أكثر الحالات صفاء وانسجاما مع تفاصيل الحياة.

تتغلغل الرواية في أعماق أرضها سنوات طويلة من العواصف والرعود والأمطار وتقلب الفصول حتى تخرج إلى النور حاملة ريح الأرض والناس والبيئة التي ولدت فيها.

ويرى عبد الباقي يوسف: تحقق أي رواية في العالم الخلود على قدر ما تتفوح بروائح تربتها لأنها تقدم زمنا وأرضا ومجتمعا، ولذلك فان الصدق ينفجر من أكثر الكتابات التصاقا بتفاصيل المحلية، وليس ثمة سبيل أقرب إلى العالمية من محلية الأفكار والتعابير.

الرواية هي الإنسان، هي كتاب الحياة الأكثر إضاءة ووضوحا، إنها السراج إلى الأعماق المظلمة.

لقد حاولت الرواية عبر تاريخها المضيء أن تقدم الإنسان إلى نفسه، وتسعى للدفاع عن حريته وعن حقه في حياة كريمة.

أما في الفصل الثاني، فيتحدث الروائي عن علاقاته الشديدة الخصوصية مع بعض أعمد الرواية في العالم ونذكر من المحاور التي تناولها بكثير من التأني والدرس والشرح:

مدارج الدخول إلى عالم فرانز كافكا الروائي
المركيز دي ساد.. النزوع السادي في الرواية
دينو بوتزاتي.. قوة الإصرار على العمل
ستيفان زفايج.. الروائي الذي تناول تفاصيل النفس البشرية
غابرييل غارسيا ماركيز.. الروائي الذي أحب في زمن الكوليرا
يوكيو ميشيما.. إيقاع الحياة الروائية
كنزا بورو أويه.. دفق شاعرية الخيال
ماريو بارغاس يوسا.. بين الرواية والسياسة
وليم فوكنر.. البحث عن البراءة المفقودة.

ومما يقول عبد الباقي يوسف في هذا الفصل: الإبداع العظيم يحتاج لشخصية عظيمة غير مهزوزة، ورغم الاهتزاز في بعض تصرفات«تولستوي»إلا أنه كان جبارا في قوة النفاذ إلى العمق البشري لقد كانت شخصيته قوية بشكل ملفت، ورغم نوبات صرع دستوفسكي فكان عظيما في مواقفه الأدبية والاجتماعية وكان مخلصا بشكل مذهل لأدبه ويعتبره القيمة الكبرى في حياته، ورغم هذا فان الأديب يمتلك شيئا من الميل إلى الحياة حتى يصقل روحه ويلبي حاجاته الذاتية انه يرغب في ان يجرب كل شيء ويرى كل شيء، باختصار انه يرغب أن يرى من الحياة كل شيء ليمنحها كل شيء، وعلى هذا الإيمان يمضي.

تبقى للأديب حساسيته تجاه كل المجريات حوله ويبقى له نضجه ووعيه ومفهومه العالي لكل القضايا الشكلية والحسية، وهذه الحساسية هي التي تصنع الأديب وتضفي الشفافية والشاعرية على إبداعه، ووسط هذا العمل لابد ان تظهر أسماء متفاوتة ومدعية، وهذا أمر طبيعي لا يسبب الحساسية ولابد لذلك فحتى تتميز عليك أن ترى شخصا بجانبك وتتفوق عليه وكذلك عندما تقدم إبداعا فمن الطبيعي ألاّ يصفق لك أشخاص من أصل أناس يصفقون

وإلا لما كان هناك داع لإبداعك، وإذا صفق لك الجميع فإن ذاك التصفيق لن يكون حقيقيا فأنت ترغب في حضور مَن لا يصفقون لك قدر رغبتك في حضور مَن يصفقون لك، إنك تريد أن تصغي لكل ما يقال ويهمك دوما أن تصغي للرأي الآخر سواء كان موضوعيا أو غير موضوعي.

أؤمن أن على الإنسان أن يمارس مطلق حريته ويقوم بتجارب أخرى وينفتح على الحياة كما تتفتح الزهور في الحدائق الكبرى. وأفهم أن الحب هو وسيلة الإنسان الوحيدة للخلاص من ثقل الوصاية السوداء.

وأظن أن العالم لن يكون بخير إلا إذا لبثت نوافذ الحب مشرعة وتسرب منها هواء نقي.

إنها قوة الكتابة التي تؤرخ الإنسان، تؤرخ مجده وتؤرخ فشله وهي الدليل على هذا المجد وعلى هذا الفشل وهي محاولة من الإنسان لإطلاق صيحة مدوية خالدة لا تنطفئ في عالم مجهول أتى إليه ويريد أن يتفهمه ويعيه ويترك فيه شيئاً يدل عليه وعلى ما توصل إليه من أفكار عن هذا العالم وهي كذلك صيحة من ضمير الإنسان في وجهٍ الشر العام، هذا الإنسان الذي يرتعب من المجهول ودوماً يخشى مما هو أكثر منه قوة برغم جهله عن إمكانات مجهولة وخافية لديه، وثقته بهذه الإمكانات الخارقة في نفسه.

حتى الآن لم يجد وسيلة أجدى من الكتابة تلخص وتقدم هلوساته وتصوراته وأفكاره عن العالم وكذلك تسجل نقاط ضعفه ونقاط قوته ومشاعره وموسيقاه الداخلية، وفي النهاية فإن الكلمات الخالدة هي التي تنجح في أن تجمع مابين الهذيان والعقل، لأن الإنسان في كثير من مواقفه يمكن له أن يهذي كما أنه في كثير من مواقفه يقدم العقل، الإنسان هو الكتابة والكتابة هي الإنسان بكل وضوحه وغموضه، وعقله وجنونه، وضعفه وقوته.

يأتي الفصل الثالث ليتوج حساسية المرأة الروائية من خلال ما تبدع من رواية وقد تناول في هذا الفصل أسماء بالغة الحساسية في تاريخ الرواية ومن محاور الفصل:

آغاتا كريستي الملكة الثانية للإمبراطورية البريطانية
توني موريسون سيدة الواقعية الأمريكية السوداء
سيمون دي بوفوار قوة التضامن مع بنات جنسها
شارلوت برونتي الروائية التي أوقدت شمعة في ظلام دامس
جورج ساند الروائية التي أرّخت لتجربتها الشخصية
فرنسواز ساغان الروائية التي قالت وعاشت: صباح الخير أيها الحزن

يرى عبد الباقي يوسف في هذا الفصل: المرأة تجيد الحكي السردي بشكل يميزها عن الرجل، ومن هنا اتسم أدبها بخصائص أغنت جنس الرواية في العالم.

الرواية النسوية هي الرواية التي تكتبها المرأة وتقدم فيها المرأة من كونها امرأة، هذا التقديم الذي يكسب خصوصية كونه يأتي بقلم المرأة التي هي أبلغ وأدق تعبيرا عن نفسها من الرجل، ومن هنا كان مصطلح«الأدب النسوي»الذي أحدث ومايزال يحدث الكثير من الجدال حول مشروعيته.

أركز هنا على وجود فوارق الإبداع وخصوصياته وتمايزه في الأدب الذي تبدعه المرأة سواء في بلادنا أم في مختلف أنحاء العالم ، هذا الذي أرى أنه بذات الوقت يضفي على المرأة خصوصيتها كأنثى مختلفة عن خصوصية الرجل سواء من الناحية السيكولوجية أم من الناحية الجسدية. فالمرأة ليست رجلا كما أن الرجل ليس امرأة، وهذا الخلاف هو الذي يضفي خصوصية على كل واحد منهما ويدفع كل واحد منهما للحنين إلى الآخر، لأن كل واحد يفتقد في ذاته ما لدى الآخر، ثم يرى بأنه لا يكتمل إلا بوجود الآخر.

من هنا فإنه من الأمر الطبيعي أن يكون أدب المرأة غنيا بمزاياها في أي منطقة من العالم،ومعبرا عن وجهة نظر وقلق ومشاعر المرأة بصفة عامة ، وهو على الأغلب يكون أكثر ثراء بتفجير العواطف ومسألة الإخلاص والعفاف في الحب ذلك أن المرأة عندما تحب شخصا وتنظر إلى الارتباط به، فهي تكون على يقين بأن هذا الرجل هو مستقبلها لأنها لا تستطيع أن تتزوج غيره، وهي على عصمته، بينما عند الرجل، فإن الأمر مختلف بعض الشيء، والفضاء مفتوح أمامه حتى وهو متزوج بأكثر من امرأة، وهذا ما نلمحه في الرواية التي تكتبها المرأة والرواية التي يكتبها الرجل على الأغلب في بلادنا، حيث نرى مشاعر القلق دائمة لدى المرأة حتى وزوجها في السبعين من عمره، وربما تبقى هذه المشاعر لديها حتى اليوم الأخير في حياتها، بينما في الرواية التي يكتبها الرجل فإنه بمجرد الزواج من امرأة حتى لو كان يكبرها بثلاثين سنة، فيشعر بحالة من الاستقرار الزوجي معها حتى لو فصلت بينهما قارتان.

إنها ثنائية مكملة لبعضها، وهذا ما يجعل التمايز ثراء لكل واحد بالنسبة للآخر، وبالتالي يجعل ماهو مفقود لدى أحدهما موجودا في الآخر.

إنني كثيرا ما أقرأ الأدب النسوي، وعندما أقع على مجلة تحتوي على مجموعة إبداعات فإنني أباشر بالأدب النسوي وألمح تلك الخصوصية المتميزة في هذا الأدب، وعلى الأغلب فإنني عندما أقرأ قصة لكاتبة فينتابني شعور بأنني أقف في حافلة ما أمام امرأة تسرد حكاية لصديقتها وأنا أختلس السمع منهما، في حين عندما أقرأ قصة لكاتب فينتابني شعور بأنني أقف خلفه خلسة وهو جالس على مائدة كتابة يكتب شيئا سريا بينه وبين نفسه بسرية تامة.

إذن عندما تكتب المرأة يكون الآخر موجودا بقوة وهي تكتب، بينما الرجل فيلغي هذا الآخر أثناء عملية الكتابة كما أظن في الروايات التي قرأتها سواء في بلادنا أو في العالم، فعندما أقرأ رواية لكاتب حتى لو كانت تتناول حياة امرأة فإنني لاأجد حضور المرأة في تلك الرواية على قدرما أجد رأي الرجل في المرأة، بينما عندما أقرأ رواية لكاتبة تتحدث عن امرأة فإنني عندذاك أقرأ المرأة.

من هنا فإنني عندما أقرأ سيمون دي بوفوار في «الجنس الآخر «أو في «مذكرات فتاة رصينة « أو في «المرأة العجوز «سأرى خلافا في التعابير عندما أقرأ «الوجود والعدم «لسارتر رغم قوة العلاقة بينهما.

وعندما أقرأ إيزابيل الليندي في «إيفالونا «أو في «بيت الأرواح «ستختلف قراءتي عندما أقرأ «مائة عام من العزلة، أو الحب في زمن الكوليرا « لماركيز، رغم قوة تأثير سارتر على «إيزابيلا»، وكذلك مع «أنديانا، وكونسويللو، ومستنقع الشيطان، والساحرة الصغيرة «لجورج ساند، فهي تكون مختلفة من حيث المبنى والمعنى عن «مدام بوفاري «التي أبدعها غوستاف فلوبير رغم خصوصية العلاقة بين الكاتبين، وهذا يكون مع توني موريسون في «أشد العيون زرقة «و «سولا «ومع فوكنر في «الصخب والعنف أو في نور في آب « .

ومع فرنسواز ساغان في «صباح الخير أيها الحزن «وألبير كامو في «الغريب». وعلى قدر هذه الخصوصية وهذا التمايز الإبداعي بين الأدبين يكمن الثراء في الإبداع، وتكون المرأة مبدعة أصيلة ومتميزة إلى جانب الرجل في ثنائية إبداعية مكملة لبعضها.

إن المرأة هي التي تنجح في أن تقدم نفسها كامرأة، هذا التقديم الذي ليس بوسع أحد أن يقدمه غيرها.

عندما يتحدث الروائي عن حميمية علاقته بالمرأة، فإنه يتحدث بطلاقة لأنه يتحدث عن مأثره، وعن مزايا فحولته. وعندما تتحدث المرأة عن حميمية هذه العلاقة، فإنها تتحدث بشيء من الحياء لأنها تشعر بأنها تفضح سرّاً من أسرار بنات جنسها، وتروي خفايا أكثر نقاط أخواتها ضعفاً وخدشاً للحياء.

لقد أحب الرجل المرأة حباً عميقاً، وحباً صوفياً، وحباً أسطورياً، كما أن المرأة بادلته ذات العمق من قوة الحب وقدمت في سبيله تضحيات جسيمة، ودوماً كانت المرأة ضحية سوء فهم الرجل لبعض تصرفاتها التي تخص شخصيتها وكينونتها كأنثى، فكان رد فعل الرجل قاسياً عليها.

شعراء من أوَّل طبعة

● فجأة يقودك الملل إلى «الخربشة» على الورق وكتابة خواطر ضبابية وسطور تائهة وهائمة وكلمات وجُمل لا معنى لها ولا رابط بينها، مُجرّد عبارات خاوية لا تُلمّح ولا تُصرّح!! تستهويك اللعبة، فتواصل «الخربشة» حتى تصير لديك كَمية كبيرة من الأوراق «المخربشة» بكلمات وسطور لا معنى لها، وتُقرّر أن تقتنع لحظتها بأنّك شاعر كامل الأوصاف، ومبدع كاملَ «الخمدة»، وناضج ولابد من المبادرة السريعة بإصدار «خربشاتك» العزيزة في ديوانٍ يحمل اسمك ويُكرّسك في الساحة الثقافية شاعراً ومبدعاً يُشار إليك بالبنان!!

وبناءً على ذلك الخيال الرومانسي تهب من فورك إلى أحد الأدباء أو مجموعة أدباء من خانة «الخرط» و«شيّلني وشيّلك»، وبمُجرّد عرضٍ تلك الأوراق «المخربشة» عليهم يهب أحدهم قافزاً وصارخاً بإعجاب : «شاعر وربّ الكعبة، يا للروعة، رائع، جميل، مدهش، أيش هذا الإبداع يا (وليد)»!! ويهتف آخر : «مش معقول!!»، ويعقبه آخر : «لازم تطبع ديوانك الشعري في الحال»، ويقترح عليك أحدهم تصميم الغلاف، وآخر يتبرّع بمراجعة مجموعتك «المخربشة»، ويدلّك الجميع على كيفية الطباعة، وهي إمّا تسليمه إلى إحدى الجهات الثقافية لتقوم بطباعته أو تقوم أنت بطباعته بنفسك!! وذلك ما يجعلك تتشجّع وتبادر على الفور بطباعة «خربشاتك» في أسرع وقت وإنزالها إلى الأسواق والمكتبات أسوةً بمَنْ سبقك من «الزملاء» أصحاب الموهبة «تيوان»، الذين ملأوا المكتبات والمخازن بإصدارات لا حصر لها، إلى جانب قيامهم ببيعها بأسعار تشجيعية للعديد من الجهات الحكومية والأهلية بصورة أقرب إلى «الشحت» و«التسوُّل» و«التوسُّل» و«الإلحاح» و«الدردحة» من أجل الشراء!!

وفي غفلة من أمرك و«ميزان عقلك» تطبع «خربشاتك» بعد كرّ وفرّ و«مسكنة» و«كومنة»، وما إن تستلم مجموعة مطبوعة منَّ «خَربشاتك» العزيزة حتى تُوزّعها على مجموعة من الأدباء والزملاء و«عيال الحارة»!! وإذا كنتِ من رفاق الجلسات «المائلة» الحال (!!) أو تنتمي إلى شلّة أو أطر مُعيّنة أو لك «صبية» أحزاب، أو جماعة من «القرية» أو «البلاد» أو... الخ، فستجد أن هناك مَنْ يُبادر سريعاً للكتابة عنك بحرارة عالية ويُبشّر بولادة شاعر «لا يشق له طبل»، وسيكتب أنّك «فلتة» زمانَك وشمس عصرك ومعجزة أيّامك وصاحب لغة شعرية فريدة ورؤية جديدة، وأنّك مُتميّزٌ، وقد جئت بما لم يأت به الأوائل ولا «اللحقة» من شعراء الزمان القادم، ومَنْ يشبهك يا فؤادي، أنت شاعر رهيب، رهيب!!

وبالطبع ستقرأ كل ذلك وتنتابك نوبة من «الزنط» و«الغرور»، وستمشي «واثق الخطوة يمشي شاعراً»، وعندما تخلو بنفسك وترى نفسك أمام مرآة الحمّام، ستصرخ : «أنا شاعر، أنا شاعر!!»، وستسمع جدّتك تصرخ لتفزّ إليك قائلةً بصوتٍ خائف : «أيش يا ابني، أنت شاعر بمغص في بطنك أم بحكّة في ظهرك»؟!!

ذلك الكلام سيغضبك وسيجعلك تتبرّم من هذا الواقع الذي لا يعرف المبدعين وهذه البيئة التي لا تُقدّر المواهب العظيمة، ولأنّك تُريد إثبات عبقريتك وتصديق كلّ ما كُتب عنك، تذهب إلى أقرب صيدلية لتتناول حبوب الأسبرين، واهماً نفسك بأنّك في حالة قلق وصداع وتفكير بمسائل الكون ومسائل الإبداع وأهمية دورك وإسهامك الهام في تلك القضايا، أمّا إذا كنت تحترم نفسك، فستعرف أنّك مُجرّد «مُخربش» على الورق، ومُجرّد «مُطنفس» أو «مُبعسس» بالكلمات أو «موهوم» أو ربّما في داخلك «مشروع» مُتعثّر لولادة شاعر غير مكتمل النمو وبحاجة إلى الالتحاق بحضَانة يتعلّم فيها أولى خطواته ونطق كلماته الأولى : «دا، دا، بابا، ماما، واوووو... الخ»، أمّا إذا عاندت نفسك وصدّقت غرورك وما كُتب عنك، فالويل لك، لأنّك تكون قد تسبّبت بكارثة تلوّث البيئة الشعرية وتستدعي من رجال البلدية والنظافة وحمَاية البيئة وحماية المستهلك، أن يستعينوا بجميع مواد التنظيف والتعقيم ليزيلوا ما سبّبه إصدارك من تلويث وما خلّفه من بلاوي نتنة!!

ستندم أشد الندم عندما تصطدم بحقيقة «عصائدك» وستعرف أنهم خدعوك بقولهم شاعر، وخاصة مَنْ يظلون يُطبّلون لك ليل نهار، لأنهم بحاجة إليك وإلى «تسليك» مصَالحهم من خلال تمجيدهم لقريحتك الشعرية!! وستكون الطامة الكبرى عندما تلقى ما تُسمّيه ديوانك الشعري وهو مرمي في أقرب بوفيه يُستخدم لـ «لفّ الساندويتشات» أو مسح أيادي الخارجين من أحد مطاعم «الفحسة»!! وربّما ستدفعك صدمة الحقيقة المُرّة إلى الصراخ أمام زبائن مطاعم «الحلبة» بأنّك كنت مخدوعاً، وأن نسبة كبيرة ممّن يُسمّون أنفسهم بـ «الشعراء» ما هم إلا مُجرّد نكتة كبيرة ومصيبة سوداء تبعث على البكاء والأسى والـ «ولولة» على ما آل إليه حال الشعر والأدب في هذه الأيام!!

Kood500@Hotmail.com

الإسباني خوسي راميريز يفوز بجائزة البابطين العالمية حول الأندلس

■ الكويت. منحت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري جائزتها العالمية الخاصة في «الدراسات التاريخية والثقافية في الأندلس» للباحث الإسباني الدكتور خوسي راميريز دي الريو والذي فاز عن بحثه: «سهوب مدينة إستجة في الأندلس – بادية إيستيبا والمناطق المحيطة بها»، ونظمت المؤسسة جائزتها لدورتها الجديدة للعام (2011–2010) مع جامعة غرناطة من خلال كرسي عبدالعزيز سعود البابطين للدراسات العربية.

ويشير البحث الفائز إلى أن المنطقة الجغرافية التي يدرسها، وهي «استجة»، تعد منطقة مهمة تاريخيًا. ويشرح الباحث أن هذه المنطقة كانت مهمة جدًا في الفتح الإسلامي لموقعها الإستيراتيجي بين المدن الأندلسية الأكثر أهمية مثل قرطبة، وإشبيلية، وغرناطة فقد كانت قاعدة عسكرية قوية محمية من خلال قلاعها الحربية المعروفة. وسبق أن أشار ابن خلدون إلى أهمية هذه المنطقة الزراعية القروية في المساهمة في توسيع رقعة الفتوحات الإسلامية وتمكين السلطة السياسية المركزية من نشر والحفاظ على سيطرتها الكاملة على جميع أراضي الأندلس وبشكل خاص بواسطة الطرق النهرية المنتشرة هناك.

ويتناول البحث موضوع الفتح الإسلامي لغرب إسبانيا حيث يؤكد الباحث أن الفتح الإسلامي لإسبانيا شكل الحقبة التاريخية الأكثر أهمية في تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية. كما يتناول الكاتب عصر الطوائف وعلاقتهم مع الخلافة الأموية والتغيرات السياسية والاقتصادية التي شهدتها المنطقة في هذه الفترة.

يذكر أن هذه الجائزة تمنح عادة لأفضل بحث يكتب حول دور القرى الأندلسية وعلمائها في صناعة الحضارة والثقافة الأندلسية، ويشرف عليها نخبة من الأكاديميين، وسبق أن أقيمت بالتعاون مع جامعة قرطبة، ومنحت حينها للباحثة الإسبانية آنا آرسيوغا.

وتهدف الجائزة الى تسليط الضوء على الإنجاز الحضاري للوجود العربي في الأندلس وما خلفه من بناء انساني وفكري ومعماري وكان مثالا للتعايش السلمي بين مختلف الاديان والثقافات والحضارات تحت ظل الحكم الاسلامي.